الروابط الحجاجية في ديوان بشار بن برد
"دراسة تداولية"

مستل من رسالة دكتوراه بعنوان :

آليات الخطاب الحجاجي في ديوان بشار بن برد
"دراسة تداولية"

إعداد

ايهاب خالد سعد الشرقاوي

المدرس المساعد

بقسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

تحت إشراف

أ .د . محمد حسن عبد الله أ .د . ربيع عبد العزيز

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

مستخلص:

أفاد بشار من توظيف أشكال متنوعة من الحجج؛ سواء أكانت بطرائق اتصالية أو طرائق انفصالية، يمكن ملاحظتها في إنتاج متواليات تقدم حججًا وأدلة تنتهي إلى نتيجة ما داخل الخطاب، من ناحية أخرى، تبدو الأقوال والحجج مترابطة بمساعدة مجموعة من المؤشرات اللغوية، هذه المؤشرات عرفت بالروابط الحجاجية التي تربط بين قولين أو قضيتين، وتقوم بترتيب الحجج بكيفية معينة توسع أو تضيق من احتمالاتها الحجاجية، فتمنح الكلام قسطًا أكبر من الإقناع، وهو ما يحتم علينا الوقوف معها وملاحظة الفوارق فيما بينها، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج؛ أهمها: أن الشاعر نوع بين مختلف الروابط الحجاجية، وأن هذه الروابط قامت بوظيفتي الوصل والتوجيه الحجاجيين.

abstract

Bashar has benefited from employing a variety of arguments. Whether by communicative methods or separatist methods, they can be observed in the production of sequences that present arguments and evidence that lead to a conclusion within the discourse. On the other hand, statements and arguments appear to be interconnected with the help of a set of linguistic indicators. These indicators are known as the argumentative links that link two sayings or two issues. By arranging the arguments in a certain way that expands or narrows their argumentative possibilities, thus giving speech a greater degree of persuasion, which requires us to stand with it and notice the differences between them. The study reached a set of results; The most important of which is: that the poet is a type between the various argumentative ties, and that these ties performed the functions of connecting and guiding the argumentative ones.

أما قبل:

فإنه تجدر الإشارة إلى أن هذه المقاربة مستلة من أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، وهذا يعني وجود سابق عليها، وآخر تابع لها ضمن تشكيل خطة البحث، التي عرضت -خلالها- الدور الحجاجي للأساليب البلاغية، واللغة والإيقاع، ومقام الخطاب ومقتضى الحال. والبنى الحجاجية المختلفة؛ ما بين الحجج شبه المنطقية، والحجج المؤسسة على بنية الواقع، والمؤسسة لبنية الواقع، والطرائق الانفصالية في الحجاج، وكذلك مرتكزات الحجاج وأدواته اللغوية، بدءًا من المقدمات والسلالم الحجاجية، وصولًا إلى الروابط الحجاجية.

والروابط الحجاجية مؤشرات لغوية تصل بين الأبنية الحجاجية، ارتبطت من قبل بمباحث النحو والبلاغة؛ مثل: الرابط بل، ولكن، وحتى، ولاسيما، وبالتالي، وغيرها من الروابط التي أفادت معاني الاستدراك والإضراب، وانتهاء الغاية والتعليل والابتداء والعطف، ومعنى الاشتراك مع تفضيل ما بعدها، أو بمعنى خصوصا[1]، بما يوحي بامتداد الاستدراك الذي يعني عند **البلاغيين** رفع توهم يتولد من الكلام رفعا شبيها بالاستثناء، على أن تكون هناك نكتة طريفة تحسنه، ويعرف عند **النحاة** بأنه دفع توهّم ينشأ من كلام سبق، وأداته لكن[2]، وعند **الأصوليين** أَن تنْسب لما بعْدهَا (لكن) حكما مُخَالفا لحكم مَا قبلهَا، وَلذَلِك لابد أَن يتقدمها كَلَام مُنَاقض لما بعْدهَا"[3].

وحاصل ما سبق، أن عمل المستدرِك يرتبط بسابق يشبه عمل المحاجج، فلا يكون على مطابق وإلا لما استدرك عليه، ويشمل القول والفعل، كما أنه ينخرط مع الحجاج من ناحية ارتباطه بالقصدية التي ترمي إلى تغيير أفكار ومعتقدات وسلوكيات مخالفة لمنتج الخطاب أو متوهمة يركن إليها المتلقي.

وقد وقع اختياري على ديوان بشار بن برد لخصوصية تجربته التي ترجع إلى أمرين؛ أولهما: كونه رأس مدرسة جديدة، إلى جانب تمكنه من اللغة العربية، وأما الأمر الآخر: فهو أن تجربته الشعرية جسدت جدلًا ثقافيًا، وفكريًا أحاط بهذه الحقبة الزمنية؛ إذ "جسدت الصراع البنيوي الذي عاشته الثقافة العربية في حقبة تاريخية مشحونة عقائديًا، وسياسيًا، واجتماعيًا، حيث ظهرت –ولأول مرة– الانقسامات الكبرى، وتفاقمت الإشكالات والإثنيات الثقافية"(٤)، كما أنه عاصر دولتين مختلفتين أيديولوجيًا، يضاف إلى ذلك، أن "بشارا" وضع نفسه طرفًا في منازعات كثيرة كما ظهر داخل الديوان، فاحتاج إلى أن يحاجج لمواقفه ورؤاه، وراح يستعين بكل ما توفر لديه من إمكانات حجاجية من بينها هذه الروابط.

أولاـ تعريف الروابط الحجاجية:

تعد "الروابط الحجاجية" من أهم الأدوات اللغوية التي تسهم في الربط والتقريب بين المعاني والحجج من أجل تحقيق التأثير والإقناع في متلقي الخطاب، وتعرف هذه الروابط بأنها "مجموعة من المكونات اللغوية المختلفة للجملة التي تحدد معناها، وتضيّق أو توسع من احتمالاتها الحجاجية، وهذه المكونات اللغوية هي التي تحدد طرق الربط بين النتيجة وحجتها"(٥) تبعًا لغاية منتج النص ومقام الخطاب.

إذن فاللغة العربية تشتمل على عدد من الروابط الحجاجية التي "لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية؛ نذكر منها: لكن، بل، حتى، لاسيما..."(٦) إلى غير ذلك من الروابط التي تحددت وجهتها الحجاجية مع ديكرو وأنسكومبر؛ حيث أكدا أنها إلى جانب اشتراكها بين مباحث النحو والبلاغة والمنطق، فإنها تدفع الخطاب إلى تحقيق الإقناع عبر استمالة المتلقي من خلال الوظيفتين التوجيهية والاتصالية؛ وذلك حين تتعلق بمجموع الجملة ومقصديات الخطاب الحجاجي.

فتضطلع هذه الروابط بدور "الربط الحجاجي بين قضيتين، وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججًا في الخطاب"(٧)، فهي مجموعة مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج "تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة"(٨)؛ ابتغاء إنجاح العملية التواصلية وتحقيق الإقناع.

ليس هذا وحسب، بل إنها تربط بين "المتغيرات الحجاجية"، وتسعى لتحقيق الانسجام، فتسمح "بالربط بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة من الحجج ... وتنظيم بنية النص، وتنشد التماسك والانسجام داخله، كي نصل في النهاية إلى وحدة كلية تفضي مقدماته أو حججه إلى نتائجه"(٩) بشكل يجعلها مترابطة ومقنعة للمتلقي.

ثانيا- تصنيف الروابط الحجاجية:

ما ينبغي التنبيه إليه: هو أن الروابط الحجاجية ليست كتلة واحدة، أو بالأحرى: لكل منها دور يحدده المقام ومقصدية مرسل الخطاب، وبالرغم من اشتراك بعضها في أكثر من فئة، فإنها تصنف إلى فئات استنادًا إلى معايير؛ منها:

معيار وظيفة الرابط، فوفقًا لهذا المعيار نجد: الروابط المدرجة للحجج، والروابط المدرجة للنتائج، ومنها -أيضًا- **معيار العلاقة بين الحجج**، وفيه: روابط التعارض الحجاجي، وروابط التساوق الحجاجي. وهناك -كذلك- **معيار عدد المتغيرات الحجاجية** أي عدد المتغيرات التي يربط بينها الرابط، فإما أن يربط بين حجة ونتيجة فيكون ذا موقعين؛ أي أنه يربط بين متغيرين، ويُعبر عنها بالشكل (طح/ الرابط الحجاجي (ب، ن/ المتغيران اللذان يربط بينهما)) وإما أن يربط بين حجتين أو أكثر ونتيجة، فيكون ذا ثلاثة مواقع؛ أي أنه يربط بين ثلاثة متغيرات، ويعبر عنها بالشكل (طح/ الرابط الحجاجي (ب، ن، ل/ المتغيرات الثلاثة التي يربط بينها))[١٠] ولكل منها العبء الحجاجي الذي تنهض به.

ثالثا- الروابط الحجاجية في ديوان بشار:

٣/١- الروابط المدرجة للحجج:

يقصد بها: الروابط التي تتمثل وظيفتها في إيراد الحجة، وتشمل هذه الفئة مجموعة "مورفيمات"[١١]؛ مثل: حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن ... إلخ، ومن أمثلة هذه الروابط في شعر بشار قوله في سعاد[١٢]:

منعتــك يقظــى مــا تحــب ولم تجــد ... فِــي نوْمِهــا، فمــتى تكُــونُ جَــوَادَا

وإِذَا أردْت عِــــداتِها بخِلــــتْ بِهــــا ... حتَّــى الْفُــؤاد وصــافحتْك جَمَــادا

ففي البيتين، يشكو الشاعر بخل محبوبته التي منعت عنه ما يطيب به العيش من اللقاء والزيارة، حتى القلب سلبته إياه و لم ترده إليه، فالرابط الحجاجي: "حتى" يربط بين حجتين لهما نفس التوجه الحجاجي، كما ظهر في قوله: "**وإِذَا أردْت عِداتِها**

بخِلتْ"، وقوله: **"حتَّى الْفُؤاد"**، وإلا وقع خلط بين ما هو حجاجي وما هو غير حجاجي، فالحجج المربوطة بوساطة الرابط (حتى) ينبغي أن "تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة"[١٣]، ومن ثم، فإنهما تخدمان نتيجة يمكن صياغتها في ملفوظ مثل: إن المحبوبة أعرضت عن الشاعر كليا.

من الملاحظ أن الشاعر أراد أن يحتج لمعاناته وحرمانه بقوة فعمد إلى أمرين:

أولهما: أن جعل المحبوبة تبخل برد قلبه إليه، فلا هي وصلته ولا هي ردته إليه، إذ إن "محل الغاية أن بخلها برد ما ليس لها هو غاية البخل"[١٤] وأصعب درجاته عند الشاعر وغيره.

آخرهما: أن جعل غاية البخل –بقلبه هو– بعد حتى، و"الحجة التي ترد بعد حتى هي الأقوى... ولذلك فإن القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي"[١٥]؛ لذا يتم تصنيف "حتى" ضمن الروابط المدرجة لحجج قوية،

ويصبح بناء الملفوظ الحجاجي بهذه الكيفية غير قابل للرد أو الاعتراض.

ومنه قوله[١٦]:

إنَّ الطبيـــــب بطبِّـــــه ودوائـــــه ... لا يســـتطيع دفـــاع مقـــدورٍ أتـــى

مـــا للطبيـــب يمـــوتُ بالـــداءِ الـــذي ... قد كان يُـــبري مثلـــه فيمـــا مضـــى

إلاَّ لأنَّ الخلـــــق يحكـــــمُ فـــــيهم ... من لا يـــردُّ ولا يجـــاوَزُ مـــا قضـــى

حيث وظف بشار الرابط الحجاجي "الواو" في قوله: **"بطبِّه ودوائه"**، والربط بالواو يقوي الحجج ويعمل على "زيادة تماسكها بعضها ببعض، وتقوية كل منها بالأخرى؛ من أجل تحقيق النتيجة المبتغاة"[١٧] فوصل بشار حجة الطب بحجة الدواء، ورتب الحجتين ورصفهما في اتجاه حجاجي واحد يتناسب مع تشكيل البنية العامة للبناء الحجاجي في البيت، فجعل الحجة الثانية في إثر الأولى مباشرة تساندها وتقويها

من أجل دعم النتيجة المحتومة الضمنية "أن القدر نافذ لا محالة"، ويمكن تمثيلها في الشكل الآتي:

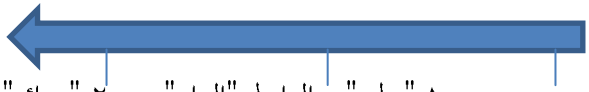

كذلك من الروابط المدرجة للحجج التي وظفها بشار الرابط "لأن"، وهو من أهم الألفاظ المستعملة في التعليل، ويستعمل لتبرير الأفعال والآراء؛ لأن ما بعدها علة لما قبلها، ففي قوله: "**لأنَّ الخلق يحكمُ فيهم**" تعليل لما ذكره في الحجة الثانية في قوله: "**ما للطبيب يموتُ بالداءِ الذي كان يبري مثله**"؟!، هذا التعليل يدعم النتيجة الضمنية التي ذُكرت آنفًا، ويوجه فكر المتلقي في اتجاه بعينه؛ ذلك أنّ مقتضى الخطاب -سواء أكان في النصح أو الوعظ أو الحكمة- يتطلب توجهًا تفسيريًا وتبريريًا؛ حتى يقوم بالتأثير والتوجيه والإقناع بالدعوى المطروحة.

ما تجدر الإشارة إليه: أن الروابط الحجاجية -في المثالين السابقين- تقوم بوظيفة الربط والوصل الحجاجيين، ليس هذا وحسب، بل إنها تضطلع بوظيفة توجيهية -كذلك- وكلتا الوظيفين مرتبطتان ببعضهما البعض، فوظيفة الربط "تأخذ على عاتقها تحقيق التماسك بين الجمل والملفوظات"[١٨]، والوظيفة التوجيهية تعمل في اتجاهين متوازيين؛ الأول: توجيه الحجج نفسها لاتجاه حجاجي معين، الآخر: توجيه المخاطب ليأخذ مسارًا تأويليًا يستطيع من خلاله أن يصل إلى النتيجة.

٣/٢ـ الروابط المدرجة للنتائج:

تتمثل وظيفة هذه الروابط في إيراد النتيجة، وتشمل هذه الفئة مجموعة روابط مثل: "إذن"، "لهذا"، "بالتالي"، "مع ذلك"، وبقراءة الديوان تبين أنه لم يرد -من روابط هذه الفئة لدى بشار- سوى الرابط "إذن" بمعدل مرتين فقط، أما عن دورها فتعمل "إذن حجاجيًا، وذلك بربطها بين الحجة والنتيجة، أي أنها تدرج النتيجة بعدها"[١٩]، ومن أمثلتها في شعر بشار قوله في الغزل[٢٠]:

دارتْ له الكـأسُ حـتى زاح باطلـهُ فطَرفُـه نـائِمُ في عَـيْنٍ يَقْظَـانِ
رِيْحَانَةُ القَلْبِ لـو كَانَـتْ تُسَـاعِدُنِي إذن رضيتُ بهـا مـن كـل ريحـان

إذ يربط بشار بين الحجة المشروطة بـ "لو" "**رِيْحَانَةُ القَلْبِ لو كَانَتْ تُسَاعِدُنِي**" والنتيجة "**إذن رضيتُ بها**" بوساطة الرابط "**إذن**"، فجعلها أداة لوصل خطابه الحجاجي، وقائدًا تأويليًا يسهل عملية انتقال المتكلم بين الحجة ونتيجتها حتى يظفر بالنتيجة أو يصرح بها، كما أن الرابط "إذن" أخرج الملفوظ الحجاجي من "الصبغة الإبلاغية الإخبارية التقريرية" إلى "الصبغة الحجاجية التأثيرية الإقناعية"، وذلك بعد تأطير النتيجة وإنزالها موقعها من السلم الحجاجي.

وطبقًا لمعيار عدد المتغيرات الحجاجية؛ أي عدد المتغيرات التي يربط بينها الرابط، فإن الرابط إذن -في المثال السابق من شعر بشار- كان ذا موقعين؛ لأنه ربط بين متغيرين؛ إذ يربط بين الملفوظ "**رِيْحَانَةُ القَلْبِ لو كَانَتْ تُسَاعِدُنِي**" والملفوظ "**رضيتُ بها**"، فأدى المتغيران وظيفتي الحجة والنتيجة، ويكون هذا الرابط من نمط (طح (ب، ن)) الذي يتميز بإمكانية إدخال مكون ثالث ضمني ينتمي لأحد الطرفين.

ومن الروابط ما جاء في قوله في التوبة[٢١]:

تَنَاوَلْـــتُ مـــا لم أُرد نيلـــه علـى جهـل أمـري وفي سـكرتي
ووالله والله مـا جئتُـه لعمْـدٍ ومـا كـان مـن همـتي
وإلا فمُـتُّ إذنْ ضـائعاً وعـذبني الله في ميـتتي

حيث يشير الرابط "إذن" إلى معنى الربط بين المقدمة والنتيجة، فالمقدمة في قوله: "**تَنَاوَلْتُ ما لم أُرد نيله على جهل، والله ما جئته لعمد**"، والنتيجة في قوله: "**وإلا فمُتُّ إذنْ ضائعاً**"، فأفادت معنى الاستنتاج المبرر أو العقوبة المستحقة؛ إذ جمعت بين قضايا متقاربة في الدلالة، فضلًا عن دلالتها على الترتيب والاتصال اللذين

يسهمان في تنظيم الخطاب الحجاجي وانسجامه من خلال ربط القيمة الحجاجية للقول بالنتيجة المترتبة عليه، وهو ما يضاعف تأثير الصياغة في المتلقي.

الرابط –في هذا الأبيات السابقة ووفقا لتصنيف "عدد المتغيرات"– جاء ذا ثلاثة مواقع؛ إذ إننا أمام رابط حجاجي يربط بين حجتين ونتيجة، في قوله: "**تَنَاوَلْتُ ما لم أُرد نيله على جهل، والله ما جئته لعمد**" والنتيجة في قوله: "**وإلا فمُتُّ إذنْ ضائعاً**"، فجمع بذلك بين ثلاثة متغيرات، أدرجته ضمن النمط الحجاجي (طح (ب، ن، ل)).

٣/٣ـ الروابط التعارض الحجاجي:

يقصد بهذا النوع "مجموعة الروابط التي تربط بين الحجج المتعارضة/ المتعاندة، وتمثلها "المورفيمات": بل، لكن، مع ذلك"[٢٢]؛ كأن يقال: الطالب ذكي لكنه مهمل، فجمع الرابط "لكن" بين حجتين متعارضتين متنافرتين؛ هما: "الطالب ذكي، والطالب مهمل"، ومن أمثلتها لدى بشار ما وصف به رائحة محبوبته[٢٣]:

وزائرةٍ ما مسها الطيبُ برهــةً من الدهرِ لكنْ طيبــها الــدهر

فأفاد الرابط معنى "الاستدراك" بعد أن وقعت أداته "لكن" بين حجتين متغايرتين في قوله: "**ما مسها الطيبُ**" وقوله: "**لكنْ طيبها الدهر فائحُ**"؛ إذ عمد بشار إلى نفي تطيبها عند الزيارة حتى لا تعرف من رائحتها الزكية، ثم ارتقى درجة في احتجاجه فأثبت لها الرائحة الزكية أبد الدهر؛ لأنها صادرة عن بشرتها فلا حاجة لها بالتطيب.

الشاعر إذ يوظف الرابط "لكن" إنما يحتاط ويحتفظ بالنتيجة بعد إثبات الاستدراك؛ مما أدى به إلى إثبات التعارض بين الحجتين، ومن هنا، يتضح أنه إذا كانت الحجة التي تقع قبل "لكن" تخدم النتيجة (ن)، فإن الحجة التي تقع بعدها تخدم النتيجة المضادة لنتيجة الحجة الأولى(~ن)، كذلك حين تكون الحجة الثانية في قوله: "**لكنْ طيبها الدهر فائحُ**" هي الحجة الأقوى، فإنها توجه الملفوظ الحجاجي ناحية

النتيجة (لا–ن) أي النتيجة المضادة، التي تقضي بأن المحبوبة طيبها منتشر، بما يعني أنها تأتي وترحل دون لقائه؛ لأن طيبها يفضح زيارتها.

ومنها –كذلك– الرابط "بل" كما في قوله في الشكوى[٢٤]:

طال هذا الليلُ بل طال السهر ولقد أعْرِفُ ليلي بالقِصَر

لم يَطُل حتى جفاني شادِنٌ ناعم الأطراف فتان النظر

فعمد بشار إلى توظيف الرابط "بل" حجاجيًا؛ ليثبت معاناته من فراق المحبوبة، وهذا "الرابط يستعمل للإبطال والحجاج"[٢٥]، ويكون للحجاج إذا انتقل من غرض لآخر، وفي هذين البيتين يقول بشار معبرا عن سهره، سهر العاشق: "**طال هذا الليلُ بل طال السهر**"، فوقعت جملة "**طال السهر**" بعد الرابط "بل" فأفادت حجاجيًا الانتقال من غرض/ الشكوى من طول الزمن الفزيائي، لغرض آخر، وهو الشكوى من طول ليل العاشق.

من الملاحظ أن الحجة الثانية تعارضت مع الحجة الأولى ووقعت بعد الرابط "بل"، فكانت هي الأقوى؛ لذا وجهت الخطاب إلى نتيجة معاكسة تمامًا لما بدر في بداية البيت، حتى لا يُتوهم أن المقصود بالليل هو الزمن الحقيقي، ومن ثم، فإن الرابط يصنع علاقة مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين؛ الأولى: علاقة بين الحجة "**طال الليل**" والنتيجة "ملل الشاعر من الظلام"، والأخرى: "**طال السهر**" والنتيجة المضادة "معاناة الشاعر من فراق المحبوبة"، وهما نتيجتان مضمرتان، لكنهما ينتجان علاقة عدم الاتفاق.

٣/١/٤ـ روابط التساوق الحجاجي:

يقصد بها الروابط التي تربط بين الحجج المتساندة التي تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة وتخدم نتيجة واحدة، وتمثلها الأدوات: "حتى، لا سيما"، فنقول: هذا الشاب يتقن الرماية والسباحة وحتى ركوب الخيل، فجمع بين حجج متضافرة هي: يتقن الرماية، يتقن السباحة، يتقن ركوب الخيل، ومن أمثلة هذا النوع قوله في عبدة[٢٦]:

وعلاَمـــــةٌ مِـــــنْكُمْ مُبيَّنـــــةٌ حســـبي بهـــا مـــن حـــبِّكمْ حســـبي
أنِّـــــي أُكِـــــبُّ إِذا ذكـــــرْتكُمُ مِـــنْ مجْلِـــسِ القُـــرَّاءِ والشَّـــرْبِ
حتِّـــى يقـــول النـــاس بينـــهم: شَـــغَفُ الْمُرَعَّـــثِ دَاخِـــلُ الْحُـــبِّ
مـــا زلـــت أذكـــركم ولـــيلكمُ حَتَّـــى جَفَـــا عَـــنْ مَضْـــجَعِي جَنْبِـــي

يقدم بشار دلائل تعلقه بعبدة؛ سهره في الليل وتقلبه في الفراش على هيئة علامات وحجج مبينة؛ يقول: "**وعلاَمةٌ مِنْكُمْ مُبيَّنةٌ**" ثم يسرد الحجتين بقوله: "... **أنِّي أُكِبُّ إِذا ذكرْتكُمُ**"، "**يقول الناس بينهم شَغَفُ الْمُرَعَّثِ دَاخِلُ الْحُبِّ**"، بوصفهما حجتين متساوقتين تخدمان نتيجة واحدة، ربط بينهما بالرابط "حتى" فأثبت القوة للحجة البعدية، وأكدت النتيجة المضمرة، وهي تعلق الشاعر بعبدة في مقابل هجرها له.

ثم يعود مرة أخرى بحجتين متساندتين -أيضًا- فيقول: "**ما زلت أذكركم وليلكمُ**"، "**حَتَّى جَفَا عَنْ مَضْجَعِي جَنْبِي**" وربط بينها بالرابط الحجاجي "حتى"، إذ يجمع به بين حجتين متساوقتين: ذكر المحبوبة، والأرق، وكلتاهما تخدمان نتيجة واحدة، وتنتميان إلى فئة حجاجية واحدة.

كما أن الرابط "حتى" أفاد تحقيق تراتبية حجاجية تسهم في إقناع المخاطب؛ إذ إن ما يأتي قبلها حجة أولى وما يأتي بعدها حجة ثانية، غير أن الفارق بينهما أن الثانية تسجل درجة أقوى في التأثير على المتلقي وتوجيهه لاشتمالها على حكم قيمة ضمني يصف السلوك في نفس المتلقي؛ إما سلبًا أو إيجابًا.

ومنه أمثلة التساوق الحجاجي قول بشار في مقدمة غزلية(٢٧):

يـــوْم قالـــتْ: إِذا رأيْتُـــك فِـــي النَّـــوْ م خيـــالاً أصـــبتَ عـــيني بـــداء
واسْـــتخفَّ الفُـــؤادُ شـــوْقاً إِلى قُـــرْ بـــك حتَّـــى كـــأنَّني في الهـــواء

إذ يظهر نزوع الشاعر إلى تقوية موقفه بتقديم حججه في الملفوظات الآتية: "**رأيتك في النوم خيالاً أصبتَ عيني بداء، واسْتخفَّ الفُؤادُ شوْقاً إلى قُرْبك**"، ثم بربطه بينها بالرابط "حتى" الذي مكنه من إدراج هذه الحجج المتساوقة في اتجاه واحد وفق سلّمية متدرجة، إلى أن بلغت ذروتها في الحجة: "**حتَّى كأنَّني في الهواء**"، التي بلغت أعلى درجات السلم؛ حيث وقعت بعد حتى، فكانت أوقع أثرًا في المتلقي، كما أن هذا الرابط "حتى" أفاد في الانتقال بالملفوظ من السياق العام إلى السياق الخاص؛ من أجل رفع الغموض وتقييد النتيجة التي يرمي إليها الشاعر.

من التحليل السابق يتأكد أن الروابط الحجاجية تقوم بوظائف عدة؛ أهمها: الربط الحجاجي والتنسيق بين الحجج على اختلاف أنواعها وترتيب أماكنها في السلم الحجاجي، كما تقوم بوظيفة التوجيه الحجاجي للخطاب بمساعدة المتلقي في تأويل الخطاب ورفع الخطأ المتوهم، على أنه قد نجد روابط مشتركة؛ كأن ينتمي إلى الروابط المدرجة للحجج وفئة روابط التساوق مثلا، ما يفرق بينهما هو المفهوم أو المعنى الذي ينتجه الرابطان طبقًا للغاية المرادة من الخطاب الحجاجي.

من جانب آخر: ينبغي التنبيه إلى أن وجود الرابط لا يكفي لإتمام الوظيفة الحجاجية ما لم يكن هناك ضامن، إذ "لا بد من وجود ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية"(٢٨)، أي مجموعة المعارف المشتركة التي تمثل محل اتفاق جمعي بين جمهور القراء، فهي "بمثرلة الآليات التحتية التي تسمح بإنجاز النشاط الحجاجي في اللغة، وذلك من خلال العلاقة التي تنسجها مع العامل أو الرابط الحجاجيين"(٢٩)، فتسهم في تحديد الوجهة الحجاجية للرابط، بل إنه من الممكن أن يُستغنى عن الرابط في قوله: "**وإلا فمُتُّ إذنْ ضائعاً**" فتصبح "**وإلا فمُتُّ ضائعاً**"، والمواضع المشتركة أو المبادئ هي التي تقدم المعنى الحجاجي وتوجه المتلقي.

من جانب آخر: تقوم بعض الروابط مثل "حتى وبل" بإثبات القـــوة للحجـــة البعدية، وهذا يتضح من خلال القيمة الحجاجية للتحديد والتخصيص، إذ إن "الجزء" الذي يقع محددًا بعد الرابط -غالبًا ما- يكون أكثر إقناعًا من "الكل" لدقته وتحديده، والعام حين يكون غامضًا يصبح أقل نجاعة من حيث التأثير في المتلقي من الخاص..

الخاتمة:

لقد سعت الدراسة إلى تقديم قراءة حجاجية تداولية للروابط الحجاجية في النص الشعري لدى بشار، وذلك بالوقوف على مختلف الروابط الحجاجية، وأثرها في ربط أبنية النص على تشكلاتها المختلفة، وبعد، فإنه يمكن تسجيل بعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة على النحو الآتي:

١- نوع بشار في استخدام مختلف أصناف الروابط الحجاجية؛ فوظف الروابط المدرجة للحجج، والروابط المدرجة للنتائج، وروابط التساوق، وروابط التعارض الحجاجيين.

٢- قامت الروابط المدرجة للحجج بوظيفتين مترابطتين؛ هما: الوصل الحجاجي والتوجيه، فالربط يحقق التماسك بين الجمل والملفوظات، والوظيفة التوجيهية تعمل على توجيه الحجج نفسها لاتجاه حجاجي معين، وتوجيه المخاطب ليأخذ مسارًا تأويليًا يستطيع من خلاله أن يصل إلى النتيجة.

٣- استغل بشار بعض الروابط فجعلها أداة لوصل خطابه الحجاجي، وقائدًا تأويليًا يسهل عملية انتقال المتكلم بين الحجة ونتيجتها حتى يظفر بالنتيجة أو يصرح بها، كما فعل في استخدامه الرابط "إذن"؛ حيث أخرج به الملفوظ الحجاجي من "الصبغة الإبلاغية الإخبارية التقريرية" إلى "الصبغة الحجاجية التأثيرية الإقناعية".

٤- أفاد الرابط "حتى" تحقيق تراتبية حجاجية تسهم في إقناع المخاطب؛ إذ إن ما يأتي قبلها حجة أولى وما يأتي بعدها حجة ثانية، غير أن الفارق بينهما أن الثانية

تسجل درجة أقوى في التأثير على المتلقي وتوجيهه لاشتمالها على حكم قيمة ضمني يصف السلوك في نفس المتلقي؛ إما سلبًا أو إيجابًا.

٥- قد نجد روابط مشتركة؛ كأن ينتمي أحد هذه الروابط إلى فئة الروابط المدرجة للحجج أو فئة روابط التساوق، لكن ما يفرق بينهما هو المفهوم أو المعنى الناتج طبقًا للغاية المرادة من الخطاب الحجاجي.

٦- إن وجود الرابط لا يكفي لقيام الوظيفة الحجاجية وإتمامها ما لم يكن هناك ضامن، إذ "لا بد من وجود ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، وهذا ما يعرف بالمبادئ الحجاجية؛ أي مجموعة المعارف المشتركة التي تمثل محل اتفاق جمعي بين القراء.

المصادر والمراجع:

أولًا- مصادر المادة الشعرية:

١. بشار بن برد: الديوان، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٧م.

ثانيًا-المراجع:

٢. إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، الطبعة الأولى دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م.

٣. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، الطبعة الأولى، مطابع العمدة، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦م.

٤. الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ): التعريفات، تحقيق مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

٥. عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب؛ دراسة لغوية تداولية، الطبعة الأولى، دار الكتاب، بيروت، ٢٠٠٤م.

٦. علاء الدين الحنبلي(ت ٨٨٥هـ): التحبير شرح التحرير في أصول الفقه،

تحقيق: عبد الرحمن الجبرين وآخرون، الطبعة الأولى، مكتبة الراشد، الرياض، ٢٠٠٠م.

٧. ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، الطبعة الثامنة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٨. مجموعة مؤلفين: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمودي، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، ١٩٩٨م.

ثالثا- المجلات والدوريات:

٩. ابتسام صغيور: دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي؛ دراسة تطبيقية في سورة الأعراف، جامعة المسيلة، الجزائر، ٢٠١٨م.

١٠. رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، المجلد الرابع والثلاثون، العدد الأول، عالم الفكر، الكويت، ٢٠٠٥م.

١١. ميثم قيس مطلك: الروابط الحجاجية؛ دراسة نقدية، المجلد الثاني، العدد(٢٥)، المؤتمر الدولي العاشر، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٧م.

١٢. هيثم سرحان: الخطاب الحجاجي في ديوان بشار بن برد؛ مقاربة في تحولات الهوية الثقافية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد: الحادي عشر، ٢٠١٣م.

رابعًا- الرسائل العلمية:

١٣. ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة؛ دراسة تداولية، دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٠م.

١٤. حسين بوبلوطة: الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي التوحيدي، ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٠م.

الهوامش والإحالات :

(١) انظر: إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، الطبعة الأولى دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤٧٠، ٢٣٨،١٦٧، ٤٦٢.

(٢) انظر: الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ): التعريفات، تحقيق مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص٢١. محمد بن علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: جورج زيناني، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م، ١٥٠/١.

(٣) علاء الدين الحنبلي(ت ٨٨٥هـ): التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين وآخرون، الطبعة الأولى، مكتبة الراشد، الرياض، ٢٠٠٠م، ٦٦٥/٢.

(٤) هيثم سرحان: الخطاب الحجاجي في ديوان بشار بن برد؛ مقاربة في تحولات الهوية الثقافية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد: الحادي عشر، ٢٠١٣م، ص٧٣.

* هو بشار بن برد بن بَهَمن (٩٦-١٦٨هـ) ولد بالبصرة، واشتهر فيها ، وتوفي ببغداد، وكان بشار من أصل فارسي، وقع أبوه في السبي فأصبح مولى لبني عقيل بن كعب من بني عامر؛ لذا لقب ببشار العقيلي. انظر: ديوان بشار بن برد، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص١٠، ١١، ١٦.

(٥) شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمودي، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، ١٩٩٨م، ص٣٧٥.

(٦) أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، الطبعة الأولى، مطابع العمدة، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦م ص٢٦.

(٧) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب؛ دراسة لغوية تداولية، الطبعة الأولى، دار الكتاب، بيروت، ٢٠٠٤م. ص٥٠٨.

(٨) أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص٣٠.

(٩) ابتسام صغيور: دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي؛ دراسة تطبيقية في سورة الأعراف، جامعة المسيلة، الجزائر، ٢٠١٨م، ص٢.

(١٠) انظر: رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، المجلد الرابع والثلاثون، العدد الأول، عالم الفكر، الكويت، ٢٠٠٥م، ص٢٣٦، وانظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص٣٠.

(١١) المورفيم: هو "أصغر وحدة ذات معنى، فبينما النحو التقليدي قد يصف **dogs** أنها تشتمل على أصل هو **dog** ونهاية تصريفية تفيد الجمع هيS ، يصف علم اللغة التركيبي الحديث**dog** ، و S كليهما على أنهما مورفيمان، أو وحدتان ذواتا معنى، تحمل إحداهما المعنى الأساسي للكلمة، وتحمل الثانية فكرة الجمعية الإضافية. ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، الطبعة الثامنة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٥٣.

(١٢) بشار: الديوان، ٢/ ١٢٣. والأبيات من بحر الكامل.

(١٣) أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص٧٣.

(١٤) حاشية المحقق: الديوان، ٢/ ١٢٣.

(١٥) أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص٧٣.

(١٦) بشار: الديوان، ٤/ ٢٣٠. والأبيات من بحر الكامل.

(١٧) ابتسام صغيور: دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي؛ دراسة تطبيقية في سورة الأعراف، ص٢.

(١٨) ميثم قيس مطلك: الروابط الحجاجية؛ دراسة نقدية، المجلد الثاني، العدد الخامس والعشرون، أبحاث المؤتمر الدولي العاشر، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٧م، ص٢٤٨.

(١٩) حسين بوبلوطة: الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي التوحيدي، ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٠م، ص١١٢.

(٢٠) بشار: الديوان، ٤/ ٢٢٠. والبيتان من بحر البسيط.

(٢١) بشار: الديوان، ٤/ ٢٨. والأبيات من بحر المتقارب.

(٢٢) ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة؛ دراسة تداولية، دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٠م، ص١٥٩.

(٢٣) بشار: الديوان، ٤/ ٣٣. والأبيات من بحر الطويل.

(٢٤) بشار: الديوان، ٤/ ٤٩. والبيتان من بحر الرمل.

(٢٥) أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص٦٠.

(٢٦) بشار: الديوان، ١/ ٢٣٩،٢٤٠. والأبيات من بحر الكامل.

(٢٧) بشار: الديوان، ١/١٣٢، ١٣٣. والبيتان من بحر الخفيف.

(٢٨) أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص٣١.

(٢٩) رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، ص٢٣٧.